Çukurova Üniversitesi İlahiyat Fakültesi Dergisi
Yıl: 2019 Cilt:19 Sayı:1 e-ISSN 2564-6427
Dergi Web Sayfası: http://dergipark.gov.tr/cuilah

"Nil Caddesinde Bir Daire" Romanı Örneğinde Suriye Savaşının Roman Üzerindeki Yansımaları

The Reflections of The Syrian War on The Roman as in the Example Novel of "The Apartment on Nile Street"

Mohamad ALAHMAD[a]

[a] Dr. Öğr. Üyesi, Gümüşhane Üniversitesi İlahiyat Fakültesi Arap Dili ve Belagatı Anabilim Dalı
e-Posta: mohamadalahmad@gumushane.edu.tr , http://orcid.org/0000-0002-3690-236X/

Makale Bilgileri

Geliş Tarihi:	25.10.2018
Kabul Tarihi:	07.04.2019
Yayın Tarihi:	26.06.2019

Özet

Modern çağdaki Arap romanları savaş konularından fazlasıyla ilham almış, dikkat çekecek şekilde roman yazarları bundan esinlenmişlerdir. Çünkü romanlar, şiirler ve diğer edebi türdeki yazılardan içerik ve konu bakımından daha fazla hareket alanına sahiptirler. Dolayısıyla savaş içerikli roman yazan güçlü kalemler, fazlasıyla bu konuyla ilgilenmişlerdir. Modern çağda birçok savaş içerikli romanlar yazılmış ve bunların niceleri de Arapların tarihteki savaşlarını ele almıştır!.

Tarihin herhangi bir sürecinde gerçekleşmiş olan bir savaşı ele alan romanlar bütün gücünü, okuyucunun daha önce başka bir yerde ulaşamadığı olayları ve bilgileri aktarmasından almaktadırlar. Tarihçiler genellikle tarihi savaşları ele aldıklarında savaşın nerede ve hangi tarihte gerçekleştiğini, komutanların adlarını ve savaşan orduların asker sayılarını ve sonucunu belirtirken, savaş romanı yazarları, bunlara ek olarak savaşan insanların duygu ve düşüncelerine de yer vermektedir. Ayrıca kişisel basit insan tiplemelerini de ele alırlar. Bu yüzden savaş romanları, okuyucusu için tarihçilerin ele almadıkları konuları ve bilgileri aktaran tarihi ve edebi vesika olarak kabul edilirler.

Suriye'de 2011 yılında başlayıp hala devam etmekte olan savaş, modern çağımızda insanları etkileyen en büyük savaşlardan birisidir. Öyle ki bu savaş sadece Suriye halkını etkilemekle kalmamış tüm dünya insanlarını etkilemiş olup etkisi Suriye sınırlarını taşarak çok geniş bir coğrafyayı, özellikle de komşu ülkeleri etkisi altına almıştır.

Bu çalışma 2011-2018 yılları arasında Suriye'deki savaşın roman üzerindeki yansımalarını ortaya koymaya çalışmaktadır. Araştırma roman yazarı Ahmed Ziyad Muhabbik'in "Nil Caddesinde Bir Daire" romanını ele alır ve kısaca romanı özetler. Savaşın insan yaşamı üzerinde ölüm, hicret ve göçler olarak yaptığı etkiyi ortaya koyar. Savaş sonucu yıkılan ve harabeye çevrilen mekânların, insanların yaşamlarına olan etkilerini ele alır. Savaş suçlarının acı verici görüntüsünü okuyucuya resmederek romanın savaş durumundaki rolünü açıklamaya çalışır. Savaşın olaylara etkisini sanatsal bir dille aktararak görevini yerine getirir. Son olarak bu çalışma romanda konu edilen savaşın sonuçlarına ait tabloyu ortaya koymaya çalışır.

Anahtar Kelimeler: *Roman, Muhabbik, Savaş, Suriye, Nil Caddesi.*

مقدمة

الحروب مادة غنية للكتابة الأدبية، وعاملا مهما لغزارة النتاج الأدبي. وغالبا ما يصف الأدباء الذين يتناولون موضوع الحروب في كتاباتهم المعارك بين المتحاربين، ويبرزون آثار الخراب والدمار التي تتركها، ويسلطون الضوء على أوضاع الإنسان وانفعالاته تجاها. وقد يتخذ بعضهم موقف المؤيد لطرف ضد آخر، ويتخذ آخرون موقف الرافض للحرب إذا كانوا ممن يلتزمون الحياد، ويسعون إلى تحقيق السلام بين الناس.

ويبدو موضوع الحرب في أدب شتى العصور الإنسانية، قديمها وحديثها، فأثر الحرب في الأدب موغل في التاريخ، وعندما يبحث الدارس في نصوص الأدب العالمي يجد أن الحروب لعبت دورا مباشرا في سرد روايتها الأدبية. وتعد ملحمة "الإلياذة والأوديسا" للشاعر اليوناني هوميروس من أبرز الأعمال الأدبية التي تناولت الحرب في العصور القديمة.

ويعثر المتتبع لهذا النوع من الأدب على كثير من الأعمال الأدبية التي تناولت موضوع الحرب في العصر الحديث، ولا سيما في الرواية، منها: رواية "الأحمر والأسود" للروائي الفرنسي ستاندال (ت1842)، و"الحرب والسلام" للروائي الروسي تولستوي (ت1910)، و"سفر إلى آخر الليل" للكاتب الفرنسي لويس فرديناند سيلين (1961)، و"وداعا لسلاح" للكاتب الأمريكي إرنست همنغواي (1961)، و"المقاتل المتعب" للكاتب التركي كمال طاهر (ت1973)، و" الطابور الخامس" للكاتبة الأمريكية أغاثا كريستي (ت1976)، وغيرها كثير.

ومن الروايات العربية التي تناولت موضوع الحرب رواية "الظل والصدى" للكاتب يوسف الأشقر (ت1992)، و"زقاق المدق" للكاتب نجيب محفوظ (ت2006)، ورواية "الشراع والعاصفة" للكاتب السوري حنا مينة (ت2018)، و"تلك الذكريات" للكاتبة إيميلي نصر الله (ت2018)، و"كوابيس بيروت" للكاتبة لغادة السمان، و"نزهة الملاك" للكاتب حسن داوود، و"مطر حزيران" للكاتب جبور الدويهي، و"شقة على شارع النيل"[1] للكاتب أحمد زياد محبك، وغيرها كثير.

والرواية الأخيرة إحدى أهم الروايات التي تناولت الحرب في سورية، والتي بدأت منذ عام 2011 وما تزال مستمرة إلى الآن. وقد عانت سورية منذ ذلك التاريخ حربا قاسية مرعبة، أثّرت فيها أيّما تأثير؛ فقد تعرض معظم أجزائها للتدمير، وذاق شعبها الويلات، وبلغت خسائره حدّا لا يُطاق. وتمتاز هذه الرواية عن غيرها من الأعمال الأدبية التي تناولت موضوع الحرب في سورية بأنها تقف على الحياد من الأطراف المتنازعة، وتركز على الأثر السلبي للحرب فحسب، وتتضمن إشارات متعددة تدعو إلى نبذ الحروب بين بني البشر، وإحلال السلام بينهم.

1. تعريف بكاتب الرواية

الأستاذ الدكتور أحمد زياد محبك قاص وروائي وناقد وأستاذ الأدب العربي في جامعة حلب، ولد في مدينة حلب عام 1949، وتخرج في قسم اللغة العربية بجامعة حلب عام 1972، ونال الماجستير في الأدب العربي الحديث من جامعة حلب عام 1981، وحاز على الدكتوراه في الأدب العربي الحديث من جامعة دمشق عام 1984. عمل مدرّسًا في وزارة التربية بين عامي 1974 و1977، وعيّن بعدها معيدًا في وزارة التعليم التعليم العالي عام 1977، ومدرّسًا لمادة الأدب العربي الحديث عام 1984. رُفّع إلى مرتبة أستاذ لمادة الأدب العربي الحديث بجامعة حلب عام 1996. حاضر في عدد من الجامعات السوريّة والعربية والعالمية، وله مؤلفات كثيرة في الحقل الإبداعي، أهما:[2]

في الدراسات:

"حركة التأليف المسرحي في سورية" (1982)، و "المسرحية التاريخية في المسرح العربي المعاصر" (1989)، و"دروب الشعر العربي الحديث" (2000)، و"دراسات نقدية من الأسطورة إلى القصة القصيرة" (2001، و"متعة الرواية" (2005)، و"عمر أبو ريشة والفنون الجميلة" (2006)، و"قراءات في الشعر العربي الحديث" (2007)، و"دراسات في المسرحية العربية" (2010)، وغيرها.

في القصة:

"يوم لرجل واحد" (1986)، و"حجارة أرضنا" (1989)، و"عريشة الياسمين" (1996)، و"لأنّك معي" (2000)، و"طعم العصافير" (2001)، و"العودة إلى البحر" (2001)، و"الرحيل من أجل مها" (2003)، و"وردات في الليل الأخير" (2005)، و"نجوم صغيرة" (2006)، و"الأعمدة والغزالة" (2009)، وغيرها.

في الرواية:

"الكوبرا تصنع العسل" (1996)، و"حمامات بيض ونارجيلة" (2001)، و"شقة على شارع النيل" (2018). وله رواية كتبها عام 2010 عنوانها "النيل لا يجف"، لم تنشر بعد.

في المسرحية:

"بدر الزمان" (1996).

2. عرض الرواية

تمتد الرواية على اثنين وأربعين فصلًا وتقع في 473 صفحة، وتُعنى بتصوير حياة الناس في حلب في ظلّ ظروف الحرب التي عصفت بها خلال عام 2013، وما خلفته هذه الحرب من آثار على الإنسان والمكان، فأصابت الإنسان بالقتل والقهر والخوف والتهجير، وأصابت المكان بالتخريب والتّدمير.

---

[1] محبك، أحمد زياد، شقة على شارع النيل، دار أمل الجديدة، دمشق، 2018.

[2] حوار خاصة جرى بيني وبين الأستاذ الدكتور أحمد زياد محبك بتاريخ 2017/1/24، حصلت خلاله على معلومات عن حياته، كما حصلت على رسالة مكتوبة تتضمن سيرته الذاتية الكاملة حتى تاريخ حوارنا.

وترصد الأحداث مجتمع الرواية من خلال علاقة الحب والزواج بين أبي جميل وأم جميل اللذين يشكلان الشخصيتين الرئيسيتين من جهة، ومن خلال علاقة شخصيات الرواية بهاتين الشخصيتين من جهة ثانية، ويمتد زمن الرواية على قرابة خمسة عقود منذ كان أبو جميل في العاشرة من عمره إلى بلوغه الثالثة والستين في آخر شهر نيسان عام 2013، في حين لا يتجاوز زمن المحكي شهرًا ونصف، من منتصف شهر آذار تقريبًا حتى الثلاثين من شهر نيسان عام 2013.

وأبو جميل من مواليد مدينة حلب عام 1950، مدرس لمادة التاريخ، متقاعد، متزوج من شيرين مدرّسة اللغة العربية التي تصغره بخمسة أعوام، ولهما ابن يدعى جميل يعمل طبيبًا في السعودية، وابنة تدعى هيفين تقيم مع زوجها في قطر. بدأ أبو جميل حياته الزوجية مع شيرين في حي الفرافرة في بيت أهله، ثم تنقّل مع زوجته بين عدّة أحياء في حلب، ليستقرّ به المقام أخيرًا في حي شارع النيل بعد أن اشترى فيه بيتًا من مال ابنه الطبيب جميل.

تحكي الرواية بالاسترجاع مراحل حياة الزوجين والظروف الاجتماعية والاقتصادية التي مرّا بها، والمعاناة التي واجهاها خلال هذه المراحل، ولا سيما معاناتهما في السنوات الأخيرة بعد عام 2004؛ نتيجة الشعور بالوحدة بسبب سفر ابنتهما هيفين إلى قطر، وسفر ابنهما جميل إلى السعودية، وابتعاد إخوة كل من أبي جميل وأم جميل عنهما لخلافات أسرية، وقد بلغت هذه المعاناة ذورتها في عام 2013 عندما دارت الحرب في مدينة حلب.

وعلى الرغم من خطورة المقام في حلب تحت وطأة الحرب المقيتة فقد فضّل الزوجان الاستمرار بالعيش فيها، وعاشا حياة قاسية ملؤها الإحساس بالخوف والألم والحزن، وكان آخرها ضربة موجعة في صميم القلب نتيجة مقتل ابنهما الطبيب جميل في طريق عودته إلى حلب.

3. ملخص الرواية

أبو جميل مدرس لمادة التاريخ، أمضى معظم حياته الزوجيّة متنقلًا بين بيوت بالأجرة، إلى أن اشترى شقة صغيرة جدًّا في حي الفيض، وكان ابنه الوحيد جميل قد تخرج في كلية الطب وتخصص في أمريكا وعمل فيها، ثم عمل في السعودية، وأرسل إلى أبيه أربعة ملايين فاشترى شقة عند دوار الدلة في حلب، مطلة على شارع النيل، انتقل إليها من حي الفيض. وأم جميل تدعى شيرين، وهي كردية من عفرين، تزوجها أبو جميل عن حب، أيام عمله مدرّسًا في عفرين، وكانت طالبته في الثانوية، وقد أحبت شيرين اللغة العربية والعرب، ودرست في كلية الآداب، قسم اللغة العربية، وأصبحت مدرسة لغة عربية.

وفي الشقة الجديدة، عند دوار الدلة، تنشأ صداقة قوية بين أبي جميل، وجاره أبي وائل، وبين زوجة كل منهما. وأبو وائل فلسطيني، كان ينزل كل يوم مع صديقه أبي جميل إلى حديقة السبيل، يمضيان معا في الاستمتاع بالطبيعة الجميلة، ويتبادلان الزيارات العائلية والدعوات إلى الغداء. وفي العمارة نفسها، في الطابق الأرضي، تسكن أسرة فقيرة، ذات أولاد كثيرين، وتعمل ربة الأسرة في صنع لوحات الكانفاه (الصوف) لتساعد زوجها. وعلى هذه الأسرة الفقيرة، تنزل أسرة نازحة من إدلب، تتألف من أخت ربة المنزل، وزوجها، وبضعة أولاد، فيصبح في الشقة أكثر من عشرين شخصا.

بينما كان أبو جميل مع صديقه أبي وائل في حديقة السبيل في حلب يستمتعان بالجو، وإذ يسمعان صوت قذيفة، ثم يشاهدان نارًا ودخانًا عند دوار الدلة، وإذا شقة أبي جميل دخلتها قذيفة واحترقت بالكامل.

في نهاية الرواية ينهي جميل الطبيب الجراح عقد عمله في السعودية، ويقرر العودة إلى حلب، للعمل في المشافي، ومساعدة أبناء وطنه. ويصل جميل إلى مطار دمشق، ويتصل بوالده، ويخبره أنه في حافلة قادمة إلى حلب، ثم يخبره أنه في حمص مع عشرة ركاب، تركوا الحافلة بسبب الأوضاع الأمنية، وأن الشركة الناقلة أمنت لهم سيارة ميكرو باص، وهم في الطريق إلى حلب. وبعد ساعة يتصل مدير الشركة ليخبره أن قذائف سقطت على السيارة عند خان العسل، وأن ركابها جميعا احترقوا واستشهدوا، وفهم ابنه جميل. ويتصل أبو جميل بأخته ويسألها عن موعد ولادتها، فتقول له: بعد بضعة أيام، فيطلب منها أن تسمي المولود باسم ابنه جميل.

4. انعكاس الحرب على الإنسان

على الرغم من أن عنوان الرواية لا يوحي بالحرب، فإنها تجهر منذ فصلها الأوّل المعنون بـ(الكرة الأرضية) باهتمامها بموضوع الحرب، وتفوح من صفحاتها الأولى رائحة دماء البشر المختلطة بنثر اللحم الإنساني على أرض ساحة سعد الله الجابري، لتتتالى الأحداث بعدها في نسيج روائي ينساب على شكل حكايات قصيرة، وتتكشّف للقارئ شيئًا فشيئًا أشكال معاناة النّاس، وكيف أتت الحرب على مشاعرهم وذكرياتهم، وغيّرت أنماط حياتهم، وبدّلت مصائرهم، وقضت على آمالهم وأحلامهم.

تصف الرواية الآثار العميقة التي خلفتها الحرب المجنونة في حلب على أولئك الذين أرغمتهم على أن يعيشوا تفاصيلها ويومياتها، محاولين تكييف أنفسهم على إيقاعها، وتعكس ما فرضته عليهم من عادات جديدة في سكنهم وتحركاتهم وأحلامهم وصداقاتهم، بسبب فقدانهم الأمن والأمان في كل مكان فيها.

تنطلق هذه الرواية من رؤية مناهضة للحرب وما تسببه من سفك دماء ودمار وتخريب من غير أن تميّز بين صغير وكبير، ورجل وامرأة، وإنسان وحيوان، وحيّ وميت، وتبدأ بمشهد مروّع يصوّر أثر الحرب على مجموعة من الناس البسطاء في ساحة سعد الله الجابري، حيث كان أحد الباعة يبيع لوازم بيتية صغيرة والناس يلتفُّون حول بسطته الصغيرة، فتسقط عليهم قذيفة تمزق أجساد الأطفال والنساء والرجال إلى أشلاء تختلط بما كان في البسطة من حاجات:

"ويدوي صوت انفجار. ترتج من تحتهما الأرض، ويجد كل منهما نفسه وقد اندفع ليختبئ وراء مبنى البريد. يدركان أن الانفجار حصل حيث كانا قبل قليل. يرجعان ليريا البسطة الفقيرة وقد تناثر كل ما فيها واختلط بأشلاء مَنْ حولها مِن أطفال ونساء ورجال... البسطة العالم الصغير البسيط الفقير بكل ما فيه وبكل مَنْ حوله مِنْ بشر دُمِّر".[3]

[3] الرواية، ص6.

يصف المشهد السابق أحد أشكال الموت نتيجة الحرب المجرمة، بيد أنّ الرواية لا تكتفي بهذا النوع من الموت، فثمّة أساليب كثيرة للحرب في حصد رؤوس البشر، ولعلّ الموت بالقنص أحد أسهل هذه الأساليب، فيكفي رصاصة واحدة للإنسان في الرأس تنهي كلّ آماله وأحلامه. وهذا ما أصاب علا المرأة الحسناء الجميلة الموظفة في مديرية البريد في حلب؛ فبينما كانت تتنقل مع صديقتها رجاء بين مناطق طرفي النزاع فيما يسمى (المعبر) اختارتها رصاصة قنّاص لتقع مضرّجة بدمائها:

"ويرن هاتفه الجوال، وإذا أخته رجاء.

. أهلاً رجاء.

. يؤلمني إخبارك باستشهاد شخص عزيز على قلبي.

يدهش، يقول:

. مَن؟ شَغَلْتِ بالي.

. صديقتي، عُلا، يرحمها الله.

.لا إله إلا الله، عليها رحمة الله، كيف استشهدت.

. اليوم الخميس، انصرفتُ أنا وهي، واشترينا حاجاتنا، وكانت رايحة معي إلى بيتي في الكلاسة، حتى تنام عندي الخميس والجمعة والسبت، مثل عادتها كل أسبوع، وفي المعبر، سمعت طلقة، وإذا هي على الأرض، فارقت الحياة قبل وصول سيارة الإسعاف".[4]

وبطريقة مشابهة قتل القاص والروائي وصاحب المشروع الثقافي ابن الثلاثين سنة الدكتور سامي في الرواية، وذلك حين كان مع أبي جميل قرب حديقة السبيل، إذ أصابته رصاصة طائشة في الرأس. ويحكي أبو جميل لزوجته عن المشهد، فيقول: "الدكتور سامي راح بكل بساطة، نطق بكلمة واحدة: الله، وقع على الأرض، طب أمامي، اختلج، وانتهى، والدم يكتُّ من رأسه، ولا حركة".[5]

لم تكتف الحرب في الرواية بدماء السوريين، بل أزهقت أرواح غيرهم ممن جرؤوا على المجيء إلى حلب. ومن هؤلاء الباحثة اللبنانية سلمى، التي قدمت إلى حلب بهدف إعداد بحث عن عبد الرحمن الكواكبي، بيد أن الحرب باغتتها هناك لتضع حدًّا نهائيًّا لبحثها وحياتها بنموذج جديد للموت يختلف عن سابقيه؛ فبينما كانت تغادر الفندق السياحي بهدف العودة إلى موطنها لبنان وقع انفجار كبير أودى بحياتها مع آخرين غيرها: "تمر لحظة صمت، المذيع يتكلم: "وصلني الآن: انفجار مروّع عند الساعة السادسة من صباح هذا اليوم يدمر مقهى جحا في ساحة سعد الله الجابري بحلب، ويلحق الأضرار بالفندق السياحي المقابل للمقهى، سقط ثلاثة شهداء من المواطنين الأبرياء، واستشهدت سائحة لبنانية كانت تغادر الفندق وتهم بركوب سيارتها لحظة الانفجار".[6]

وأطفال المدارس كانوا إحدى ضحايا الحرب في الرواية، فالقذائف التي تتساقط على مدينة حلب عمياء لا تميّز بين صغير وكبير، "وقذيفة واحدة كفيلة باستشهاد ثلاث عشرة طفلة مع المعلمة، وجرح أخريات".[7]

ولعلّ المشهد الأكثر تراجيديّة في الرواية مشهد مصرع الابن الوحيد الطبيب الجرّاح جميل، الذي تخصص في أمريكا، وعمل في السعودية لعشر سنوات. وحين وقعت الحرب في حلب دفعه حبّه لوطنه العودة إليه، علّه يستطيع التخفيف عنه بمداواة أبنائه من جرحى الحرب. بيد أن الحرب كانت أقوى منه، وقالت كلمتها معلنة نهاية حياته، لتنتهي معها آماله وأحلامه نهاية مأسويّة حزينة، وذلك في طريق عودته من دمشق إلى حلب.

وقد اختار الروائي لمصرعه مشهدًا يعبّر عن مدى قسوة الحرب في القتل وتمزيق الأجساد إلى حدّ يحوّلها إلى فتات صغيرة لا تبين للعيان، فلا يبقى منها شيء يدلّ عليها إلا بعض هواتف أصحابها: "من المؤسف يا عم، لا جثث ولا جثامين ولا حقائب ولا جوازات سفر، فقط الهيكل الحديدي للميكرو وثلاثة جوالات، من الجوالات عرفنا الشخصيات، الميكرو مرَّ بين هضبتين، وانهالت عليه القذائف من كل الجهات، الميكرو أصيب بأكثر من قذيفة إصابة مباشرة، أسرعنا نحن فرقة الإنقاذ، ما استطعنا الاقتراب، كنا نرى الميكرو أمامنا يحترق، والقذائف تنهمر مثل المطر، ثم بدأ إطلاق النار، بعدما انتهى كل شيء، اقتربنا نحن في سيارة إسعاف رافعين الأعلام البيض، كل شيء محترق، ما عثرنا على غير أقفال الحقائب، وسبع جوالات محترقة، وعلى بعد عدة أمتار عثرنا على ثلاثة جوالات".[8]

وصوّرت الرواية أثر الحرب في دفع النّاس إلى النزوح أو الهجرة، وكان النزوح من مكان في مدينة حلب إلى مكان آخر في داخل المدينة نفسها، هربًا من الخطر المحدق. ومن هؤلاء صاحب مطعم القمّة الذي أغلق مطعمه القريب من باب الفرج بسبب وقوع قذائف كثيرة في تلك المنطقة، وانتقل إلى حي شارع النيل الأقل خطورة. وكذلك رجاء التي اضطرت أن تنتقل مع أولادها من حيّ الكلاسة إلى منطقة الملعب البلدي بسبب سقوط القذائف على الحيّ أيضًا. وأمّا الهجرة فقد كانت إلى خارج الوطن، ولا سيما أصحاب المهن والمثقفين، كصاحب مطعم سلاف الذي أغلق مطعمه وغادر إلى مكان آخر، والطبيب عادل الذي هاجر هو وأسرته إلى الجزائر.

---

[4] الرواية، ص162.
[5] الرواية، ص424.
[6] الرواية، ص236.
[7] الرواية، ص309.
[8] الرواية، ص461- 462.

وأظهرت الرواية مشاعر الذعر والخوف التي تنتاب ساكني مدينة حلب، تلك المشاعر نتيجة الخطر الداهم الدائم الذي يرافقهم أينما كانوا، حتى في مساكنهم التي ما عادت مكانًا آمنًا: "وهما يصعدان الدرج، يداهما متعانقتان، أمام باب الشقة يهم بتقبيلها، يدوي انفجار قوي في الخارج، ترتج جدران العمارة، باب الشقة ينخلع، يضمها إلى صدره، بيد تحتويه، وبيدها الأخرى تتمسَّك بزجاجة العطر، يقول لها: حبيبتي شيرين، لا تخافي".[9]

ووصفت الأمراض الاجتماعية الناتجة عن الحرب، كانتشار البطالة نتيجة قلّة العمل، التي تؤدّي بدورها إلى انتشار ظاهرة التسوّل بين أفراد المجتمع، ولا سيما الأطفال والنساء، وهو ما صوّرته الرواية في غير مشهد: في مدخل الحديقة، وعلى الرصيف، تقعد صبية دون الثلاثين، تفرش منديلاً تناثرت فيه بضع ليرات معدنية، وفي حضنها وليد نائم لا يزيد عمره عن بضعة أشهر، وثديها مدلوق من فتحة ثوبها. أم جميل تناولها ورقة نقدية، تضعها بين طيات ثوب الوليد...".[10]

وكان انتشار المخدّرات إحدى نتائج الحرب في مدينة حلب في الرواية، واختار الروائي إحدى المدارس الثانوية في حلب ليبيّن الأثر الكبير لهذه الظاهرة في الطلاب الذين يشكّلون العنصر الاجتماعي المعوّل عليه في المستقبل: "الأمر غير عادي، هو الخوف من تعاطي المخدرات، تم القبض قبل يومين على بائع سكاكر وقطع العلكة أمام إحدى الثانويات بحلب، وهو يبيع المخدرات للطالبات".[11]

لم يتوقّف الأمر عند هذا الحدّ فحسب، بل تغيّر كل شيء في حلب، فما عادت المحلّات التجارية تفتح ليلًا، فلا سهر، ولا ملهى، حتى ولا سينما ولا مسرح، وما عادت ساعات السفر نفسها كما كانت من قبل. فنتيجة انقسام مدينة حلب إلى قسمين صار على المرء أن يسافر ساعات طويلة ليصل إلى مكان كان يصله في الماضي بعشر دقائق: "عشر ساعات حتى أصل من الكلاسة إلى الملعب البلدي، كنت أمشيها على قدمي فأصل في عشر دقائق".[12]

ومظاهر الفرح ما عادت مناسبة في ظلّ ظروف الحرب، فحين أرادت أم جميل أن تزيّن شقّتها تعبيرًا عن فرحها بقدوم ابنها جميل رفض أبو جميل كل هذه المظاهر، والسبب بسيط، فالأوضاع العامة غير مناسبة، والناس في كرب وضيق، وما من بيت إلا وفيه مصيبة. وكذلك المشاركة في تشييع الجنائز تغيّرت عمّا كانت عليه قبل الحرب، وما عاد يحضر دفن الميّت غير عدد محدود قد لا يتجاوز حملة النعش: "قبل أن يغادر، يلقي نظرة أخيرة على سور المقبرة، يرى جنازة تخرج من الجامع، أربعة فقط يحملون النعش يسيرون به نحو المقبرة وسط زحام الباعة ولغطهم ونداءاتهم، النعش يترنح على أكتاف الرجال الأربعة، ولا أحد سواهم، ولا أحد وراء النعش ولا أحد أمامه".[13]

5. انعكاس الحرب على المكان

لا يخفى على قارئ الرواية احتفاء الروائي بالمكان، ويبدو هذا جليّا في العنوان الذي اختاره لروايته "شقّة على شارع النيل"، كما يتجلّى في اهتمامه اللافت للنظر في وصف الأمكنة الحلبيّة في الرواية؛ من بيوت، وحدائق، وشوارع، ودكاكين، ومطاعم، وغيرها.

ولأنّ هدف الروائي إبراز آثار الحرب في الرواية فقد وصف مدى الدمار الذي سببته هذه الحرب على المكان؛ فصوّر أثرها في خراب كثير من البيوت. ومنها دار أهل أبي جميل في حي الفرافرة التي حوّلها أخوه إلى مخزن للدواليب، لكنّ الحرب حوّلتها إلى ركام، وأحرقت كل شيء فيها: "أخي أبو حسين فَقَد كل شيء، كان أكبر تاجر دواليب في حلب، واليوم يعيش على راتب ابنه المهندس، بعد ما نزلت قذائف على دارنا في الفرافرة وأحرقت كل ما خزن فيها من دواليب، حتى الدار نزلت حجارتها حجراً على حجر".[14]

وبيت أخت أبي جميل في حيّ الكلاسة فقد دمّر نتيجة سقوط قذيفة عليه، وأما شقة أبو جميل التي اشتراها أواخر حياته بمال ابنه فقد احترقت نتيجة سقوط قذيفة: "ويصل أبو جميل وأبو وائل، ليجدا رجال الإطفاء يمدون خراطيم الماء وهم يحاولون إطفاء الحريق، تمر نصف ساعة، والنار ما تزال تشتعل، الشقة كلها تشتعل".[15]

وصوّرت الرواية أيضا الدمار الذي لحق بالفندق السياحي وما يجاوره من أماكن نتيجة انفجار وقع في مكان قريب: "انفجار مروّع عند الساعة السادسة من صباح هذا اليوم يدمر مقهى جحا في ساحة سعد الله الجابري بحلب، ويلحق الأضرار بالفندق السياحي المقابل للمقهى".[16]

ووصفت القذائف التي تتساقط هنا وهناك مخلّفة دمارًا كليًّا أو جزئيًّا في المكان، كسقوط القذائف أمام دكان أخي أبي جميل، وفي محيط داره في حي المعادي، والقذائف في محيط جامع جمال عبد الناصر وعلى ساحة الأحرار في الحي نفسه. كما وصفت أثر الحرب على حديقة السبيل نتيجة إهمال العناية بها، فيبست أشجارها وغابت خضرتها، وتحوّلت إلى مكان للفساد بعد أن كانت متنفّسًا يأوي إليه الناس للترويح عن أنفسهم والتمتع بخضرة الأشجار وأصوات العصافير ورقرقة الماء وتنشق الهواء العليل، ولهذا أجرى الروائي مقارنة بين ما كانت عليه الحديقة قبل الحرب وما آلت إليه بعدها: "هذه هي البركة، ماذا حصل؟ كم كانت جميلة، رقيقة المياه شفافة، أرضها مفروشة بالسيراميك الأزرق الفاتح، الماء فيها بلون السماء، وفي الوسط نافورة صغيرة، يتقافز الماء منها ويسقط مثل المطر الخفيف، كانت حافاتها واطئة وهي من حجر أصفر أملس ناعم كالمخمل، لا أرى الآن سوى الحفائر في أرضها، وحافاتها مكسرة، وفي وسطها أنابيب رفيعة وأخرى

[9] الرواية، ص137.
[10] الرواية، ص294.
[11] الرواية، ص308.
[12] الرواية، ص342.
[13] الرواية، ص81.
[14] الرواية، ص336.
[15] الرواية، ص444.
[16] الرواية، ص235.

ثخينة كأنها أوردة وشرايين ...هذا تدمير يا أبو جميل ... وفي ظني هو بفعل قذيفة، أو قذائف... يا إلهي، كانت حديقة السبيل غير ما هي عليه اليوم، ما توقعت رؤيتها على هذا الشكل".[17]

ولم تسلم الأماكن الدينية والأثرية من آثار الحرب أيضًا، كنسف باب القلعة الأثري، ومئذنة الجامع الأموي الأثريّة،[18] وفي هذا ما يدل على همجية الحرب ولا مشروعيتها، لأنها تأتي على البشر والحجر، وتدمر العمق التاريخي والثقافي والحضاري.

6. موقف الروائي من الحرب

ينطلق الروائي من موقف مناهض للحرب، وهو موقف إنساني حضاريّ بنّاء، يرفض الهدم والدّمار بأشكاله كافة، بما فيه هدم الإنسان بالقتل والتشريد والإضرار، وهدم المكان بالتخريب والإيذاء؛ أي هدم الحياة بصفة عامّة.

ويتشابه إلى حدّ بعيد مع مواقف أدباء عرب وأجانب، قديمًا وحديثًا، ولا سيما موقف الشاعر زهير بن أبي سلمى في قصيدته المعلقة المشهورة، التي يصف فيها آثار الحرب بقوله:[19]

وما الحرب إلا ما علمتم وذقتم	وما هو عنها بالحديث المرجم
متى تبعثوها تبعثوها ذميمة	وتضر إذا ضرّيتمـوها فتضرم وتلقح كشافًا
فتعرككم عرك الرحى بثقالها	ثم تنتج فتتئم

ومن المواقف التي تدين الحرب أن تضع أم نديم مولودها قبل أوانه على أصوات الانفجارات والقذائف بدلًا من الزغاريد. وقد أصرّ أبوه على تسميته حربا، وأصرّت الأم على تسميته سلاما. وتدخّل أبو جميل لحلّ الخلاف وأجرى استفتاء، فانتصر اسم حرب على اسم سلام، وكان عدد الأصوات لصالح الاسم حرب ثلاثة عشر صوتا، هي أصوات الأطفال الأكثر عددًا، في حين كان عدد الأصوات لصالح الاسم سلام مجرد ثمانية، هي أصوات الكبار. وهذا لا يعني مطلقًا أنّ الروائي ينتصر للحرب، بل يعني إدانتها؛ لأن الأطفال لا يعون خطورة الحرب. كما يدل على خطورة مستقبل هؤلاء الأطفال الذين فتحوا عيونهم على الحرب، وهم لا يعرفون معنى السلام. ولهذا يمكن القول إنّ هذا العمل "الأدبي ليس مجرّد انعكاس لواقع ولوعي جماعي فعلي، ولكنه يعكس الذروة من وعي مجموعة محدّدة"،[20] تدرك الخطر الذي ينطوي في طيّات الحرب.

لقد كانت الرواية انعكاسا للحياة اليومية، والواقع المعيشي للناس، وهذا ما جاء على لسان الدكتور سامي، الذي كان يخطّط لكتابة رواية يسلّط فيها الضوء على معاناة البسطاء في الحرب، حيث يقول: "أنا لن أصور الحروب ولا المعارك ولا المتقاتلين، ولن أحشد الأسلحة لا الخفيفة ولا الثقيلة، أنا سأصور معاناة الناس البسطاء العاديين في هذه الظروف، وللقارئ الحق في فهم ما يشاء، سأتصور نفسي وأنا أكتب مسرحية، لا يمكن حشد الجيوش فيها ولا الأسلحة ولا العتاد".[21]

وعنوان الرواية "شقة على شارع النيل" الذي يشعر المتلقّي بالأمن والسلام يمثّل ما يُصطلح عليه بالبديل أو المعادل الموضوعي روائيا[22] مقابل موضوع الرواية الحرب؛ فـ(شقة) مكان يوحي بالطمأنينة، و(النيل) كلمة تحيل القارئ إلى نهر النيل رمز الخضرة والحياة، وكذلك أسماء معظم الشخصيات في الرواية، كجميل وهيفين وشيرين وغيرها، توحي بالجمال والسلام والحياة.

ولإبراز أهميّة السلام في الحياة جعلنا الروائي منذ البداية نتوقع حصول أمرٍ جلل للدكتور جميل. واستطاع تحقيق شرط المؤلف الذي "يضع نصب عينه السطر الأخير عندما يكتب السطر الأوّل"،[23] ممسكًا بخيوط عمله الفني، وانتقل بالقارئ شيئًا فشيئًا، ليأخذ بيده إلى المشهد الأخير الذي صوّر فيه مقتل الدكتور جميل. وهو ما يشعر به القارئ من موقف أبي جميل الرافض للزينة التي اشترتها أم جميل احتفالًا بقدوم ابنهما جميل، ثمّ أتى بسقوط صورته، وفي نهاية الرواية وقع ما كنا ننتظر.

ولعلّ الروائي عمل بنصيحة جان ريكاردو حين قال: "فبما أنّ القصة معروفة في خيوطها الأساسية قبل أن يمسّ القلم الورق، أفليس مغريًا أن نحققها في نقطة من مجراها بمقطع يكون خلاصة لها، إذّاك يجري التنازع بين القصة وخلاصتها ذاتها".[24] وهذا ما دفع الروائي إلى بث بعض أحداث الرواية على نحو إرهاصات تومئ إلى النهاية المحتملة، ولا سيما سقوط صورة جميل.

فالروائي أراد للقارئ من خلال هذا التدرّج بالمأساة أن يتعاطف مع جميل ووالده وأمّه، وبالتالي أراد له أن يقف موقف العداء أمام الحرب التي سبّبت هذه المأساة.

---

[17] الرواية، ص296.
[18] الرواية، ص352.
[19] الزوزني والتبريزي، شرح المعلقات العشر، تحقيق محمد رسلان طحّان، دار مهرات للعلوم، سورية 2008، ص101.
[20] تودوروف، تزفيتان : القصة الرواية المؤلف، تر: خيري دومة، ط1، دار شرقيات، القاهرة 1997، ص115.
[21] الرواية، ص183.
[22] ينظر: الفيصل، سمر روحي: ملامح في الرواية السورية، اتحاد الكتاب العرب، دمشق1979، ص62.
[23] ريكاردو، جان: قضايا الرواية الحديثة، تر:صياح جهيم، منشورات وزارة الثقافة، دمشق 1977، ص261.
[24] المرجع السابق، ص263.

وفي المقابل يصرّ الروائي على قوة الحياة مقابل الموت؛ فموت الطبيب جميل قابله حياة جميل الذي يوشك أن تضعه أخت أبي جميل. فقد استشهد الدكتور جميل قبيل نهاية الرواية، وفي نهايتها يطلب أبو جميل من أخته أن تسمي مولودها باسم ابنه جميل، وهو رمز إلى قوّة الحياة وتجددها وانبعاثها من جديد مقابل الموت.

والروائي لم يصف المعارك، ولا ساحات القتال، ولا آليات الدمار، وإنما اقتصر على تصوير معاناة المدنيين، وجاء واضحا تركيزه على تصوير مقتل النساء والأطفال والشخصيات المثقفة بالإضافة إلى الناس البسطاء. فالروائي يريد أن يقنع القارئ برفض الحرب عامّة لما تسببه من قتل هؤلاء الأبرياء، فهم الخاسر الأكبر فيها.

7. وقفة نقدية

نستطيع القول إن الرواية اتّسمت بالواقعية، واستمدّت مرجعيتها هذه من خلال نقلها الأحداث التي جرت فعلًا في أثناء الحرب في حلب؛ فالتفجير الذي وقع بالقرب من الفندق السياحي، ونسف باب القلعة، ونسف مئذنة المسجد الأموي كلها أحداث جرت في الواقع، والفرق بين هذه الأحداث في الرواية والواقع أنها وقعت في الواقع قبل زمن وقوعها في الرواية. ليس هذا فحسب، بل إنّ الأمكنة في الرواية تتشابه إلى حدّ بعيد مع الواقع. وهذا يعني أن الروائي أراد أن يقترب بروايته من الواقع ليجعل منها وثيقة تاريخية أدبية يستطيع قارئها أن يعيش أجواء الحرب، وتستطيع الأجيال القادمة "أن تقرأ التاريخ الذي نعيشه الآن وغدًا، ليس من كتب التاريخ المصقولة، وإنما من روايات هذا الجيل والأجيال القادمة".[25]

واتّسمت الشخصيات كذلك بالواقعية أيضًا؛ فمن يعرف شخصيات هذه الرواية يظنّ أنه يعايشها، وتبدو له وكأنها تحيا وتشعر وتتنفس وتحس. إنها صورة عنّا، وربما رأى الواحد منّا نفسه في إحدى شخصيات الرواية، ولا سيما من عاش في ظروف مشابهة. وبالتالي استطاع الروائي أن يكون "خالقًا حيًّا، يخلق شخوصًا أحياء، يعيشون بيننا، ويتنفسون هواءنا، ويكونون صورة عنّا".[26]

الرواية تنتمي إلى ما يعرف بالواقعية النقدية من خلال عنايتها بالنمذجة، التي يقصد بها "عملية تصوير الكاتب لشخصية تتمثل فيها مجموعة من الفضائل أو الرذائل أو من العواطف المختلفة التي كانت من قبل في عالم التجريد، أو متفرقة في مختلف الأشخاص، بطريقة تجعلها حيّة وكأنها من خلق الطبيعة".[27] ولعل هذه النمذجة تمثّلت أوّلًا في شخصية أبي جميل، الذي يمثل أحد النماذج الذي ذكرها محمد غنيمي هلال،[28] هو نموذج الإنسان المحبّ للخير؛ فهو يحمل صفات الخير عامّة، من إخلاص ووفاء وحب وغيرها.

وعلى الرغم مما يشحن هذه الصورة من عناصر المأساة، تترقرق في ثناياها ظلال ندية من الحب والبساطة والأمل، وتحت هذه الظلال ذاتها تبرز مواقف الروائي بإيجابيتها حيال الناس البسطاء، وبسلبيتها حيال الحرب التي يعاني منها هؤلاء البسطاء على اختلاف مشاربهم وانتماءاتهم.

وقد شكّلت شخصية أبي جميل محور العملية السردية وأداتها للتعبير عن أطروحات الرواية، وذلك من خلال حيازتها المساحة الأكبر من السرد الروائي من جهة، ولما حملته من كفاءة روائية أكسبتها صفة الشخصية التي "تعطي للحدث انطلاقته الديناميّة"[29] من جهة أخرى.

وثمّة أمر آخر يضفي الواقعية على الرواية، هو ثبات الشخصيات الرئيسة في المكان على الرغم من الخطر المحدق بهم، وقد عبرت تلك الشخصيات عن رضى بقدرها، وهو ما يساعدها على الثبات في المكان؛ فالحرب تدفع الناس إلى ترك المكان، ولكن الروائي أراد لها الثبات.

وكانت شخصيات الرواية كثيرة، تكاد تبلغ الثلاثين، وتنوعت بين أطفال وشيوخ ونساء ورجال ومثقفين وعمال وباعة، وتعددت جنسياتها، ففيها السوري والكردي واللبناني والفلسطيني، وكان بينها علاقات متواشجة وضرورية. كما كان لكل شخصية دورها حتى نهاية الرواية، ولم يكن ممكنا الاستغناء عن أي منها. ومن ذلك شخصية الأخت التي ظهرت في البداية؛ ليكون لها دور في النهاية، وهو وضعها مولودا، وطَلَبُ أخيها أن تسميه باسم ابنه.

ولعلّ قارئًا يسأل: لماذا لم يقدم الروائي صورة كاملة عن الحرب في سورية، واكتفى بتصوير آثارها، ولا سيما في حلب، والجواب: ليس من مهمّة الروائي أن يكتب عن كل شيء، فهو حرّ مخيّر فيما يكتب، ويمكن القول: نحن إزاء رواية اجتهدت لتنقل الآثار المدمرة للحرب ومدى الضرر الذي لحق الناس عامّة.

وإذا كانت وظيفة النقد الأولى "تثقيف القارئ بإعانته على تفهم الأعمال الأدبية وكشف المغلق من مضامينها، وإدخاله إلى مواطن أسرارها الجمالية، وإرهاف ذوقه وحسه الجمالي، وإغناء وجدانه ووعيه بالقدرة على استبطان التجارب والأفكار والدلالات الاجتماعية والمواقف الإنسانية"[30] فإننا نرى أنه من واجبنا أن نقول بعد الذي استطعنا توضيحه في الرواية إن الروائي استطاع أسر قارئه منذ بداية الرواية إلى آخرها محقّقًا بذلك ثنائية المتعة والفائدة، اللتين تمثلان أحد أهم وظائف الأدب.[31]

خاتمة

---

[25] منيف، عبد الرحمن: الكاتب والمنفى- هموم وآفاق الرواية العربية، دار الفكر الجديد، بيروت 1992، ص43.
[26] مينة، حنا: هواجس في التجربة الروائية، بيروت 1982، ص69.
[27] بوشعير، الرشيد: الواقعية وتياراتها في الآداب السردية الأوربية، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق 1996، ص56.
[28] ينظر هلال، محمد غنيمي: الأدب المقارن، ط5، دار العودة، بيروت، بلا تاريخ، ص303.
[29] بحراوي، حسن: بنية الشكل الروائي الفضاء الزمن الشخصية، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء 1990، ص219.
[30] مروة، حسين: دراسات نقدية في ضوء المنهج الواقعي، دار المعارف، بيروت 1988، ص8.
[31] ويليك، رينيه، وارين، أوستن: نظرية الأدب، تر: محيي الدين صبحي، مراجعة: حسام الخطيب، ط3، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت 1985، ص31.

لقد استطاعت رواية "شقة على شارع النيل" أن تقدم صورة لانعكاس الحرب على واقع الحياة، وتأثيرها في المواطنين الآمنين، وما قادت إليه من قتل وهجرة ونزوح. كما قدمت صورة عن تأثير الحرب في المكان، حيث دمرت البيوت والمساكن وأحرقتها، وأتت على المساجد والأماكن الأثرية.

واستطاعت هذه الرواية أن تقدم انعكاس الحرب على الواقع من خلال الحياة اليومية المعيشية، ومن خلال الواقع الثقافي واليومي. ولم تلجأ الرواية إلى تصوير المقاتلين، ولا إلى وصف آلات الحرب والدمار، وكانت بعيدة عن ساحات القتال. كما ابتعدت الوراية عن المبالغة أو الحشد الإعلامي أو الدعاوي، ولجأت إلى اللوحات المشهدية العريضة، وإلى الحوار. ووضعت القارئ في عمق المكان، وتركته يحس ويرى وينفعل؛ ليفهم كما يشاء، ويحلل ويستبصر، من غير أن تلقنه درسًا، أو تملي عليه عبرة أو موعظة.

وكانت الشخصيات، على كثرتها، غنية، حية تملك أبعادها الاجتماعية والثقافية، وتنبض بالحياة، ولها مواقفها وأفكارها المختلفة والمتنوعة.

وتبدو الرواية قد كتبت في خضم الواقع عام 2015 وقبل انتهاء الحرب، مما يدل على قوة التأثير والانفعال، ويؤكد مسؤولية الأديب، وضرورة حمله أمانة التأريخ فنيا للمرحلة التي يعيشها، ومواكبة روح العصر. وهذا ما فعلته هذ الرواية بنجاح. فليس من الضروري أن ينتظر الأديب خمسين عامًا؛ ليكتب عن ذكريات مرحلة كان قد عاشها.

المراجع

بحراوي، حسن: "بنية الشكل الروائي. الفضاء، الزمن، الشخصية". ط1. المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء 1990.

بو شعير، الرشيد: الواقعية وتياراتها في الآداب السردية الأوربية، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 1996.

ريكاردو، جان: قضايا الرواية الحديثة، ترجمة صياح جهيم، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1977.

الزوزني والتبريزي، شرح المعلقات العشر، تحقيق. محمد رسلان طحّان، دار مهرات للعلوم، سورية، 2008.

تودوروف، تزفيتان : القصة الرواية المؤلف، ترجمة خيري دومة، ط1، دار شرقيات، القاهرة، 1997.

الفيصل، سمر روحي: ملامح في الرواية السورية، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1979.

محبك، أحمد زياد، شقة على شارع النيل، دار أمل الجديدة، دمشق، 2018.

مروة، حسين: دراسات نقدية في ضوء المنهج الواقعي، دار المعارف، بيروت 1988.

منيف، عبد الرحمن: الكاتب والمنفى هموم وآفاق الرواية العربية، دار الفكر الجديد، بيروت، 1992.

مينة، حنا: هواجس في التجربة الروائية، بيروت 1982.

هلال، محمد غنيمي: الأدب المقارن، ط5، دار العودة، بيروت، بلا تاريخ.

ويليك، رينيه، وارين، أوستن: نظرية الأدب، ترجمة محيي الدين صبحي، مراجعة حسام الخطيب، ط3، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت 1985.

The Reflections of The Syrian War on The Roman as in the Example Novel of "The Apartment on Nile Street"

Abstract

The Arabian novels in modern age had a great impetus; it considerably stimulated its authors' imagination. Since novel is a wide space comprising of so much data and multiple themes, which poetry and other literary genres can't contain. Thus Arabian geniuses' pens to stand against wars are intensively attracted. Several novels were written about Arabs' wars in contemporary time and many novels discussed Arabs' historical wars!

What is remarkable in a novel discussing a historical war taken part in a period of history is its power to convey news and information to the reader cannot find in history books. Historians often are interested in battle dates, its leaders' names, its soldiers' number and consequences, whereas a novel can report this information, portray people and fighters' actions, impulses, and feelings and recount individual situations related to ordinary persons. Therefore, a war novel is excepted as a literary and historical document and a significant reference from which readers can obtain data that do not concern historians.

The war that has continueded in Syria in a literary sense since 2011 has the most influential impact upon people in contemporary era. It has an effect on humans and places, and it is not merely restricted to Syria and its people, but it goes beyond its borders to neighboring countries.

This study is trying to reveal the reflections of war in Syria between the years of 2011 and 2018. The research itself first discusses Novelist Ahmet Ziyad Muhabbik's Novel Named "Apartment on the Nile Street" and it briefly summarizes the novel. Then it asserts the reflections of the war on individuals and their impacts on their lives, the reasons for their deaths and migrations. Later on, it deals with the reflection of the war on the lives in the ruined place. Then he tries to explain the attitude of the novel in the war situation by supporting the painful image of war crimes with pictures. It fulfills the mission of presenting its artistic image of the reflection of war on events. Finally, this work tries to reveal the real result of the war mentioned in the novel.

Keywords: *Novel, Muhabbik, War, Syria, Nile Street.*

انعكاس الحرب في سورية على الروايةرواية "شقة على شارع النيل" نموذجًا

ملخص البحث

شكل موضوع الحرب إيحاء كبيرا للرواية العربية في العصر الحديث، وأوقد خيال كُتّابها على نحو لافت للنظر. ولأن الرواية فضاء رحب قادر على استيعاب معلومات واسعة، وموضوعات متعددة، لا يستطيع الشعر وغيره من الأجناس الأدبية الأخرى استيعابها، فقد جذبت إليها أقلام المبدعين العرب للتعبير عن مواقفهم نحو الحروب. فكم من روايات كتبت في حروب العرب في العصر الحديث! وكم من روايات تناولت حروب العرب التاريخية!.

إن ما يميز رواية تتناول حربا ما من كتابة تاريخية تتناول الحرب نفسها هو قدرة الرواية على نقل أخبار ومعلوات لا يعثر عليها القارئ في الكتابة التاريخية. فالمؤرخون غالبا ما يشغلهم تاريخ المعارك وأسماء قادتها وعدد جنودها ونتائجها، بينما تستطيع الرواية تقديم هذه المعلومات بالإضافة إلى نقل وقائع ومشاعر وأحاسيس المقاتلين والناس، وتسجيل حالات فردية ترتبط بأشخاص بسطاء. ولهذا تعد رواية الحرب وثيقة تاريخية أدبية، ومرجعا مهما للقراء، يستطيعون من خلالها معرفة معلومات لا يلقي المؤرخون لها بالا.

وتعد الحرب التي وقعت في سورية منذ عام 2011، ولمّا تنته بعد، من أعظم الحروب التي أثرت في الناس في العصر الحديث. حيث طال أثرها الإنسان والمكان. ولم يقتصر على سورية وأهلها فحسب، بل تجاوز حدودها إلى خارجها أيضا. ولا سيما البلاد المجاورة لها.

يسعى هذا البحث إلى الكشف عن انعكاس الحرب في سورية بين عامي 2011 و2018 على الرواية، ويختار رواية "شقة على شارع النيل" للروائي أحمد زياد محبك عينة للدراسة. ويعنى بتقديم ملخص عنها، ثم يكشف عن انعكاس الحرب على الشخصيات، وما كان لها من تأثير في حياتهم، وما أدت إليه من قتل وهجرة ونزوح، ثم يبيّن ارتدادها على المكان، وما تركت فيه من دمار وخراب. كما يعنى بتوضيح موقف الروائي من الحرب، ويؤكد إدانته لها، من خلال تصوير مشاهد الموت المؤلمة. ويخلص البحث إلى واقعية الرواية، ودقتها في التصوير، وأمانتها في تقديم رؤية فنية لأثر الحرب في الواقع.

الكلمات المفتاحية: *الرواية، محبك، الحرب، سورية، شارع النيل.*